عالم المغامرات

( ٤ )

# الأرض المحرمة

تأليف

**أشرف السيد العقبى**

رسوم

**د. يحيى عبده**

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة لشركة سفير

رقم الإيداع ٥٤٧٨ / ١٩٩٢
الترقيم الدولي : ISBN : 977 - 261 - 157 - 0

# مقدمة

كانت وما زالت التسلية الهادفة هى ضالة كل قارئ وناشر ومؤلف جاد، وكذلك كل الجهات الأمينة التى تعمل فى مجال ثقافة الناشئين والشباب، وقد زادت الحاجة إلى الأعمال الساعية إلى تحقيق هذا الهدف الآن أكثر من أى وقت مضى، خاصة وقد بدأت القراءة تحتل مكان الصدارة من جديد فى اهتمامات أبنائنا.

وقد وجدنا أنه لسد الفراغ الموجود فى هذه النوعية التى تهدف إلى الارتقاء بذوق أبنائنا ولغتهم وتنمية ثقافتهم وقيمهم بأسلوب يحترم عقولهم وتفكيرهم ويسمو بخيالهم؛ رأينا أن نقدم هذه السلسلة التى تتسم أحداثها بالمتعة والإثارة فى شكل قصصى جذاب.

فبالرغم من أن جميع الأحداث من نسج الخيال فإن أماكن وقوعها حقيقية، وكذلك ما ورد فيها من معلومات.

وقد راعينا فى هذه السلسلة أن تحمل كل قصة من القصص المقدمة – فى طياتها– قضية أو عدّة قضايا تهم القارئ وتمس حياته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فيشعر أن هناك من يقف بجانبه ويشاركه التفكير فيما يهمه بعيداً عن أسلوب الوعظ المباشر.

وقد راعينا أيضًا فى هذه السلسلة خروج القصة فى قطع صغير يسهل على القارىء اصطحابها معه فى أى مكان، وكذلك جودة الطباعة وجمال الرسومات المعبرة.

# التعريف بالشخصيات

**شريف فهمى :** مهندس زراعى شاب مجتهد، شديد الذكاء، ذو ملامح مصرية، قمحى اللون، رشيق القوام، متوسط الطول، طيب القلب ومتدين، مثقف وطموح ، واسع الاطلاع، فى العقد الثالث من عمره، يجيد الإنجليزية والفرنسية .يعشق الصحراء ولا يحب ضجيج المدن، اندمج مع الواحة وأهلها، وأحبها وتفانى فى خدمتها، وتعمق فى دراستها حتى عرف كل دروبها وخباياها .

**فريد :** أحد أبناء الواحة ، كثير الاطلاع، عنده انتماء شديد لبلدته، وهو ينتقد الأوضاع الخاطئة ويحاول تصحيحها .

* * *

# ١ - البداية

انطلقت السيارة الأجرة مسرعة فى طريق عودتها إلى الواحة ، وكان من بين ركابها المهندس « شريف » .

نظر « شريف » إلى مؤشر السرعة فوجده يتراقص ما بين مائة وثلاثين ومائة وأربعين كيلو مترًا فى الساعة، أحس « شريف » أن عجلات السيارة لا تكاد تلامس الأرض من شدة السرعة بينما السائق يتمايل طربًا ، وهو يستمع إلى صوت أحد المطربين الصاخبين، وقد صَّمت الموسيقى المزعجة آذان الركاب .

نظر « شريف » إلى السائق كأنما يتوسل إليه أن يخفض صوت جهاز التسجيل، ولاحظ السائق ذلك فمد يده وأغلق الجهاز قائلا :

– معذرة يا باش مهندس فالمسافة إلى الواحة – كما تعلم– طويلة جدًّا ، ولا بد من أن أشغل نفسى أثناء القيادة بأى شىء، حتى لا يتسلل النوم إلى عينى وتحدث كارثة لا قدر الله .

رد « شريف » :

– شكر الله لك يا أسطى « عشرى »، لقد أرحتنا من صوت ذلك المطرب الصاخب، والآن ما رأيك فى أن نتبادل أطراف الحديث فيما يفيد، فمن ناحية تصبح متيقظًا، ومن ناحية أخرى تعرفنى أخبار الواحة بعد فترة غيابى عنها التى دامت أربعة أشهر .

– على الرحب والسعة يا باشمهندس.

– بداية : لماذا هذه السرعة العالية فى القيادة، وأنت دائمًا تردد أن القيادة الهادئة تؤمن السائق والركاب والسيارة، ولذلك أحب أن أسافر معك دائمًا؟!

– لأننى أريد الوصول إلى الواحة فى هذا اليوم بالذات قبل صلاة العشاء بإذن الله.

– ولماذا اليوم بالذات؟!

– لأن ملك الجان.....

قاطعه « شريف » مندهشًا:

– ملك الجان ! أى جان؟!

– على رسلك يا باشمهندس سوف أحكى لك كل شىء:

لقد حدثت أشياء غريبة جدًّا فى الواحة خلال الأشهر الأربعة الماضية، ولم يذق أهلها طعمًا للنوم لمدة أسبوع أو أكثر.

– لماذا؟

– حدثت عدة ظواهر غريبة جدًّا.

– ما نوعية هذه الظواهر؟

– مثلاً : ينتشر فى الواحة ليلاً صوت مواء قطط يشبه إلى حد كبير بكاء الأطفال، مع العلم أن واحتنا لا يوجد بها قطط!

أجاب « شريف » موافقًا :

– نعم يا أسطى « عشرى »، فأنا لم ألاحظ وجود قطط فى الواحة منذ مدة طويلة.

– هذا لأن ملك الجان حرَّم على القطط دخول بلدتنا.

– لماذا ؟

– يقولون، إن القطط من الحيوانات التى تحل فيها الأرواح ، وقد حلت إحدى الأرواح المغضوب عليها من قِبَل ملك الجان فى إحدى هذه القطط؛ فعاقبها بطرد كل القطط من الواحة، التى هى كما يقولون منطقة نفوذ الجن.

– إذا كانت الواحة خالية من القطط كما تقول فما سر الأصوات التى تُسمع ليلا؟

– يقولون : إنها أصوات لقطط حبسها ملك الجان تحت الأرض، ويعذبها لعصيانها أوامره.

– شىء غريب حقًّا . ألم يلاحظ أحد وجود أى قطط أثناء صدور هذه الأصوات؟!

– لا أظن ذلك . خاصة أن الناس أصبحوا لا يغادرون منازلهم بعد غروب الشمس، وينكمشون هم وأولادهم فى منازلهم وهم يرتعدون من الخوف، وليت هذا كل شىء!

– ماذا أيضًا؟

– إن الجن تطارد بعضها فى كل مكان؛ فى الشوارع والأزقة وفى الجو، ويقولون: إن سبب ذلك دخول جن مغضوب عليه فى منطقة نفوذ ملك الجان.

– وهل للجن مناطق نفوذ؟ ثم من هؤلاء الذين يقولون؟

– هل تعرف السيدة العجوز البكماء التى تسكن فى أطراف البلدة؟

– نعم سمعت عنها، وكان أهل الواحة يقولون إنها تستطيع عمل أحجبة، وتشفى المرضى، وتتصل بالجان.

– إنها هى بالضبط، وقد أصبحت الآن همزة الوصل بين أهل البلدة وملك الجان، وتقوم بتوصيل مطالبه إلى أهل البلدة.

– وماذا أيضًا يا أسطى «عشرى»؟

– نسمع طوال الليل جلبة وضجيجًا مزعجًا ، وكذلك أصوات طرقات عالية تهتز لها أرض الواحة، حتى إن أحد منازل الواحة تصدع من تأثير تلك الطرقات.

– ولكن أخبرنى يا أسطى «عشرى» كيف أن .....

وقبل أن يكمل «شريف» كلمته، كان هناك منحنى شديد الانحناء دارت معه السيارة بصعوبة شديدة ، بعد أن تشبث السائق بعجلة القيادة، وكادت السيارة تقلب على أحد جانبيها، ولكنها مالت ميلة شديدة، ومال الركاب معها لا إراديًّا.

صاح «شريف» قائلا:

– احذر يا أسطى «عشرى»، معك أرواح، قلل من سرعة السيارة.

– نعم يا باشمهندس، معى أرواح ولكنها ليست أرواح الركاب فقط، يحدث هذا دائمًا عندما أتحدث عنهم.

– يا أسطى «عشرى»، إنه مجرد وهم، دعك منه واستعذ بالله من الشيطان، ودعنا نكمل حديثنا. أخبرنى كيف تستطيعون التفاهم مع هذه السيدة العجوز البكماء؟ وعلمى عنها أنها لا تخالط الناس، ولا تجالسهم ولم يدخل أحد بيتها .

– التفاهم معها يتم عن طريق مساعدها.

– وهل لها مساعد؟

– نعم ، هل تعرف «فرجًا»، ذلك الشقى، الذى كان يسرق المشمش من الحقول؟

– نعم أعرفه جيدًا.

– لقد اهتدى الآن بعد أن مسته كرامات السيدة البكماء، وتاب عن السرقة، وأصبح يلازمها باستمرار ولا يفارقها، وهو يتحدث معها عن طريق الإشارة، ويترجم ما يفهمه إلى الناس.

– وكيف حدث هذا؟ أقصد ما هى الكرامة التى مست «فرجًا» وتاب بسببها؟

– من فضلك يا باشمهندس لا تخرجنا عن الموضوع، فأنا أريد أن أحدثك عن ملك الجان وأعوانه، وما يحدث منهم.

– معك حق، أكمل.

– سوف أحكى لك واقعة غريبة حدثت لى.

– ما هى؟

– فى أحد الأيام كنت أقوم بتوصيل الركاب إلى منازلهم بعد منتصف الليل تقريبًا، وبالقرب من منزل أحد الركاب وفى أحد الأزقة رأيت اثنين من الجن يطارد أحدهما الآخر فى سرعة البرق، ثم احترق أحدهما، وصدرت منه صرخة تصم الآذان، بينما أطلق المنتصر ضحكة شيطانية وقفت لها كل شعرة فى جسدى، وتجمدت أنا وباقى الركاب فى مكاننا.

– أنت الذى خرجت الآن عن الموضوع يا أسطى «عشرى»، لقد قلت إنك تريد أن تحدثنى عن ملك الجان، فما هى حكايته؟

– فعلا يا باشمهندس، لقد أمر ملك الجان باجتماع الأهالى اليوم أمام منزل السيدة البكماء، ليقول مطالبه، والتى من دونها لن يغادر القرية.

– إذًا خذنا إلى هناك لنحضر مع أهل الواحة ذلك الاجتماع .

انحدرت السيارة هابطة من النَّقب، فى طريقها إلى الواحة، ومن هذا الارتفاع الشاهق ظهرت أراضى الواحة، وقد خيم عليها السكون، واعتلتها سحب بيضاء جميلة، وبعد عدة دقائق قطعت خلالها السيارة ذلك الطريق المنحدر من أعلى الجبل إلى أسفله واستوت على أرض الواحة المنبسطة، متخذة طريقها وسط الأراضى الشاسعة الخصبة والمزينة بالنباتات الطبيعية التى تنمو هنا وهناك، مستمدة ماءها من الأمطار القليلة أو من قطرات الندى.

نظر « شريف » من زجاج السيارة على جانب الطريق، وفجأة صاح متعجبًا:

– ما هذا الذى هناك يا أسطى « عشرى »؟!

– إنها ڤيلا السيد « أبو النصر ».

– لم تكن موجودة من قبل ! متى بنيت؟

– لقد تم تشييدها فى أربعة أشهر فقط!

– شيء غريب حقًّا ثيلا بهذا الحجم وكل هذه الفخامة، تبنى فى أربعة أشهر فقط؟!

– إنها الإمكانات يا باشمهندس.

– لماذا بناها هكذا بعيدًا عن الطريق بمسافة كبيرة؟

– لا أحد يعرف، ربما ليبتعد عن ضوضاء الطريق، وعيون المتطفلين، وعلى أية حال فهى تقع فى أرضه التى اشتراها أيضًا.

استطرد «عشرى» قائلا:

– وأثناء بناء هذه الڤيلا كانت السيارات لا تهدأ ليلا ولا نهارًا، ناقلة الأحجار البيضاء المربعة من العاصمة إلى هنا، وأثناء البناء كانوا يحيطون الڤيلا بغطاء كبير من القماش ولم يكن عملهم فى البناء إلا ليلا . ولم نشاهد البناء إلا بعد أن اكتمل.

– شيء غريب.

– بعض الناس يرددون إشاعات، ويقولون: إن الذى بناها له هو ملك الجان.

أخذ «شريف» ينظر إلى الڤيلا بإعجاب شديد ، وهى تسبح فى الأضواء المستمدة من مولد كهربائى اشتراه صاحبها خصيصًا لهذا الغرض، ولما انحنى الطريق، ودارت معه السيارة ظهر منظر جانبى للڤيلا لا يقل جمالا عن واجهتها. قال «شريف» للسائق وهو ممتلئ

فخرًا وإعجابًا:

– لقد أضيف إلى معالم الواحة معلم جديد وجميل، فلم تعد الواحة مزارًا سياحيًّا بما تحويه من آثار وقصور فرعونية ورومانية، أو مركزًا للسياحة العلاجية بما تحويه من عيون وآبار كبريتية ساخنة تعالج بعض الأمراض، أو منطقة جذب للمستثمرين الذين يرغبون فى استصلاح أراضٍ جديدة وجيدة فقط، بل أصبحت كذلك مدينة تحوى الڤيلات الفاخرة الحديثة بجانب القصور الفرعونية.

– هل دخلت هذه الڤيلا يا أسطى «عشرى»؟

– لم يدخلها أحد من أبناء الواحة، فالأسوار ذات الأسلاك الشائكة تحيط بكل مساحة الأرض، والحراسة شديدة، وممنوع اقتراب أحد من الأرض أو الڤيلا، حتى العمال الذين بنوها لم يكن من بينهم أحد من سكان الواحة!

– عجبًا!!

اقتربت السيارة من الواحة فشاهد «شريف» مشهدًا غريبًا، كان أهل الواحة يتدفقون إلى الزقاق الضيق الذى يقع فيه بيت السيدة العجوز البكماء، والكل يتسابق لحجز مكان متقدم، وافترش بعضهم الأرض قبل الموعد بساعات، وقد خلت الطرقات وتعطلت كل مظاهر الحياة فى البلدة وبدت البلدة ساكنة تمامًا فيما عدا تلك البقعة،

وبالرغم من أن الحديث فى حد ذاته وهو ظهور ملك الجان يبعث الرعب فى النفوس، إلا أن تدفق الناس بهذه الأعداد يشير إلى الرغبة الدفينة فى أعماق البشر منذ الأزل لمعرفة المجهول.

وقبل الموعد المرتقب، خرج «فرج» مساعد السيدة العجوز البكماء ليخبر الناس أن الموعد بعد صلاة العشاء، ولابد من التزام الهدوء.

وفى الموعد المحدد كان الليل قد أرخى سدوله ، وساد الواحة هدوء عجيب ساعد على الإحساس به تلك اللمبات الموزعة على أعمدة الشوارع بضوئها الخافت جدًّا.

وأمام منزل السيدة البكماء كانت أعصاب الناس قد وصلت إلى أقصى درجات التوتر والقلق والخوف، وفجأة انطفأت كل أنوار القرية، فصدر من الناس شهيق ضخم ، وبدأ الخوف الشديد يسيطر على الناس، كأنما أطلق من عقاله، وأصبح من المستحيل السيطرة عليه، وبدأ الناس وكأنهم شدوا جميعًا برباط واحد نسج من خوف الإنسان الأبدى من الظلام والمجهول، وفى هذه اللحظة فتح باب السيدة العجوز محدِثًا صريرًا عاليًا، ثم خرجت إليهم وفى يدها شمعة، فتعلقت بها الأبصار، وكان الناس يعرفونها جيدًا، فمعظم أهل الواحة قد ولدوا فوجدوا هذه السيدة فى ذلك المنزل الذى يشبه المغارة، حتى ملابسها لم تتغير، الثوب الأسود الواسع ذو الأكمام الفضفاضة نفسه، وقد

التف حول وسطها نطاق مزين بقطع معدنية صغيرة، وعلى رأسها نقاب أسود ثقيل، لا يُظهر من وجهها غير عينيها.

أشارت السيدة العجوز إلى أعلى، فاستجابت كل الأنظار لإشارتها وكأنما وقع أهل القرية تحت تأثير سحر سلبهم كل إرادتهم، وفى لمح البصر ظهرت بومتان كبيرتان أخذتا تضربان الهواء بأجنحتهما، ثم نزلتا على سطح بيت السيدة العجوز زاد منظر البومتين بأعينهما المستديرة وآذانهما التى تشبه القرون من الخوف المسيطر على الناس، فالتصق كل واحد بجاره؛ ملتمسًا الأمان، وكادت القلوب تخرج من الصدور لشدة خفقانها ، وبعد برهة ظهر شىء لامع فى المكان الذى نزلت فيه البومتان، تبعه صراخ يصم الآذان، وطرقة قوية اهتزت لها الأرض تحت أقدام المشاهدين وسقط بعضهم مغشيًّا عليه، ولكن أحدًا لم يستطع النطق، فاحتُبست أنفاسهم انتظارًا لما سيحدث.

فجأة صدر صوت كالرعد يقول:

« يا أهل الواحة، أخلوا ما بين الجبلين وإلا حطَّمتُ القرية كلها فوق رؤوسكم، هذه منطقة نفوذى وملكى ». وبعد ذلك طُرقت طرقة أقوى من سابقتها، انهار على أثرها جدار أحد المنازل فى ذلك الزقاق الضيق الذى يعج بالناس وارتفعت سحابة كثيفة من الأتربة، وعلا

الصراخ وانفرط عقد الناس، وأخذوا يتدافعون للخروج من تلك المصيدة التى وضعوا فيها أنفسهم، ثم صدر من ذلك الشيء ضحكة شيطانية عالية، وبدأ يرتفع فى السماء، وقد اشتعل بنيران بيضاء، ثم اختفى، وفور اختفائه عادت اللمبات تضيء من جديد.

اندفع الشباب يحاول إخراج الناس وإنقاذ الضحايا من ذلك الزقاق الضيق، وقد ساد الناس رعب شديد، فكل يجرى فى اتجاه فسقط من سقط تحت الأقدام ، وأصيب من أصيب وسارع الشباب المثقف- الذى طالما قاوم تلك الخرافات لثقتهم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله - لإنقاذ الضحايا مع رجال الإسعاف الذين قدموا وحملوا المصابين إلى المستشفى.

وبعد الحادثة التزم الناس بيوتهم، واحتضنوا أطفالهم ، ودعوا الله أن يكشف عنهم ذلك البلاء.

* * *

# ٢- التحدى

كانت المنطقة التى حددها الجنِّى وادَّعى أنها منطقة نفوذه وملكه، منطقة مستصلحة، ومعظمها مملوك لاثنين من كبار الملاك، أحدهما السيد «أبو النصر» صاحب الڤيلا الجميلة الفخمة، وهو رجل قدم إلى الواحة حديثًا، والمالك الثانى الحاج «منصور» وهو رجل عصامى، قام باستصلاح هذه الأرض بنفسه.

وبعد أن بلغت المالكين رسالةُ الجنِّى، اجتمعا فى منزل الحاج «منصور»؛ لأن ڤيلا السيد «أبو النصر» لا تزال تحت التشطيب من الداخل وبدأ فى الحديث.

– ما رأيك فيما حدث يا حاج «منصور»؟

– إن هذه الأرض قطعة منى، رويتها بعرقى، ولن أتركها بهذه السهولة، فليبحث له عن منطقة أخرى، وأرض الله واسعة.

– أنا معك فيما تقول، ولكن ماذا لو نفذ تهديده؟

أجاب الحاج «منصور» فى حزم:

– لن يستطيع، وسوف أحضر له أقوى طاردى الجن وسيطرده شر طردة.

شجع كلام الشيخ «منصور» السيد «أبو النصر»، فأيده فى قوله

وعقدا العزم على الصمود معًا فى وجه عدوهما المشترك، وأثناء جلوسهما استأذن «فرج» مساعد السيدة العجوز بالدخول، فأذن له الحاج «منصور»:

– لقد أرسلتنى سيدتى عندما علمت باجتماعكما، لأبلغكما رسالة.

– وما هى يا «فرج»؟ تكلم.

– تقول سيدتى إن صاحب التهديد هو ملك الجان، ولن تستطيعا التغلب عليه مهما أحضرتما من رجال أو سحرة، فهو قادر على سحقكما، فلا تحاولا إثارة غضبه، وإلا نزل بكما عقابه.

– أبلغ سيدتك ومن يساندها أن السيد «أبو النصر» أنفق أموالا طائلة فى شراء هذه الأرض، وبناء الڤيلا، ولن يترك أرضه أو بيته، وليفعل ملك الجان ما بدا له.

رد «فرج» ببرود:

– لن أبلغها شيئًا يا سيدى، وإن أردت أنت ذلك فاذهب إليها بنفسك وأشهد الناس على ما تقول.

– سأفعل يا «فرج».

استأجر السيد «أبو النصر» سيارة ووضع عليها مكبِّر صوت، وأخذ يدور فى الواحة معلنًا تحديه لملك الجان على رؤوس الأشهاد،

وهو يردد كل ما قاله لـ« فرج » مساعد السيدة العجوز .

كانت تلك الليلة من أسوأ الليالى التى عاشتها الواحة، فبعد انطفاء أنوارها كما هى العادة بعد منتصف الليل، أعلن ملك الجان الحرب على السيد « أبو النصر »، فساد الواحة ضجيج لايعلم أحد مصدره، وطرقات عالية تهتز لها القلوب، وأصوات صراخ أحيانًا، وضحكات شيطانية أحيانًا أخرى .

وفى الصباح الذى انتظر الناس بزوغه على أحرٍّ من الجمر؛ وبعد أن طال عليهم الليل بما فيه من فزع ورعب، طرق أحد الرجال منزل الحاج « منصور » بشدة فخرج إليه، وكان مستيقظًا لتوه من النوم .

– مصيبة يا حاج « منصور » . . مصيبة!

– ما بالك يارجل؟

– لقد اختفى قصر السيد « أبو النصر »، ولم يعد له وجود .

– تقصد الڤيلا الفخمة؟

– نعم .

– وأين السيد « أبو النصر » الآن؟

– يجلس فى المقهى وسط الواحة، فى حالة يرثى لها .

ارتدى الحاج « منصور » ملابسه بسرعة وانطلق مع الرجل إلى

حيث يجلس السيد «أبو النصر»، فوجده واجمًا ينتفض من الخوف وبمجرد أن وقع بصره على الحاج «منصور» صاح فى هستيريا:

– لقد استمعت إلى نصحك، وها هى النتيجة لقد ضاع كل شىء.

– اهدأ يا رجل، وهيا بنا نذهب إلى الڤيلا لنرى ما حدث..

أشار السيد «أبو النصر» بيده وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة:

لا، لا يذهب أحد إلى هناك، فالمنطقة الآن أصبحت تحت نفوذه، وقدأخبرنى فى منامى أنه لن يسمح لأحد بالاقتراب، إنه بشع بشع... وأجهش بالبكاء.

ربَّت الحاج «منصور» على كتفه مواسيًا إياه، وقال:

– وأين كان رجالك الذين يقومون بالحراسة؟

– لقد فروا جميعًا بعد أن انشقت الأرض وابتلعت الڤيلا بأكملها. سوف أهاجر من هذه البلدة، وأنصحك ياحاج «منصور» أن تنصاع لأوامره.

وأثناء ذلك قدم رجل وهو يلهث مخاطبًا السيد «أبو النصر»:

لقد شاهدت نيرانًا تنبعث من أرضك يا سيدى فى مكان الڤيلا نفسه.

– إذًا لقد بدأ ينفذ تهديده ويدمر كل شىء، وكل من يقف فى

طريقه، لقد ضاع كل شيء، القيلا اختفت ، والأرض استولى عليها، فليفعل بعد ذلك ما يريد، أرجوكم اتركونى وشأنى.

كان « شريف » يرقب كل هذه الأحداث، وهو لا يكاد يصدق ما يحدث أمامه، وقال فى نفسه:

– هل هذا ممكن؟ جن، وسحر ، وملك جان، واختفاء قيلا بأكملها، وإنذار إخلاء منطقة أخرى وأصوات غريبة، وصراخ ورعب فى البلدة، إنه أمر محير وغريب!

وأثناء جلوس « شريف » فى شرفة منزله يفكر فى تلك الأمور، مر عليه جاره « « فريد » » وهو أحد الشباب المثقف من أبناء الواحة فسلم عليه وجلس .

– فيم تفكر يا « شريف »؟

– وهل هناك غير هذا الموضوع الذى يشغل تفكير البلدة كلها؟

– تقصد موضوع اختفاء القيلا ؟

– نعم .

– إنه أمر غريب فعلا! ولكن هذه الواحة مليئة بالأشياء الغريبة، فمنذ طفولتنا ونحن نسمع مثل تلك القصص، وما هو أغرب منها.

– ترى هل سينصاع الحاج « منصور » لأوامر ملك الجان هذا ويترك

أرضه ومنزله، أم يرفض ويحدث له مثل ما حدث للسيد « أبو النصر »؟

– على أية حال الحاج « منصور » لن يخسر كثيرًا حتى لو ترك الأرض كلها.

– وكيف هذا ؟!

– أنت تعلم أن الحاج « منصورًا » رجل متقدم فى العمر ، وقد توفيت زوجته، ولم تترك له إلا ابنًا وحيدًا عمره لا يتجاوز العشر سنوات، وهذا ما جعل الرجل يفكر فى عمل وثيقة تأمين على حياته لصالح ابنه بمبلغ مائة وخمسين ألف جنيه تحق للابن بعد وفاة أبيه، وبذلك ضمن لابنه مبلغًا يعيش منه بعد وفاته، وفى كل الحالات فإن الابن لن يستطيع زراعة الأرض، أو إدارة شئونها لصغره.

وبينما « شريف » و« فريد » منهمكان فى حديثهما، وإذا بأحد أبناء الواحة يخبرهما بمفاجأة أخرى.

– هل تعلمون ما حدث للحاج « منصور »؟

انتفض « شريف » قائلا :

– هل اختفى بيته أيضًا؟

ضحك الشاب وقال :

– لا . بل حدث له حادث سعيد. لقد عاد ابنه الذى فقد منذ

خمسة عشر عامًا وأصبح الآن شابًّا يافعًا.

تعجب «فريد» وقال:

– إنه لأمر غريب حقًّا! لقد عاد فى الوقت المناسب ليقف بجوار والده!

نظر إليه «شريف» مستفسرًا:

– وما قصة هذا الشاب العائد يا «فريد»؟

– لقد كان الحاج «منصور» متزوجًا من سيدة أخرى، وأنجب منها هذا الابن، وكان يسمى على ما أعتقد «زهيرًا» أو «زهران» وقد فقد من والده أثناء زيارتهما لأحد الموالد، وكان عمره حينئذن حوالى سبع سنوات، ولم يعثر عليه منذ ذلك الحين، وكان هذا الابن قد تعرَّض لحادث شهير فى القرية فقد على إثره أحد أصابع قدمه اليسرى.

وفى منزل الحاج «منصور» كانت هناك مأدبة عشاء فاخرة أقامها بمناسبة عودة ابنه، ودعا إليها الأصدقاء والجيران والمعارف، كما ذبح عجلا وقام بتوزيعه على الفقراء فى البلدة، وكانت مناسبة أسعدت الناس بعد عدة أسابيع من الفزع والخوف.

تكلم الحاج «منصور» إلى ضيوفه قائلا:

– لقد ثبت لى يا إخوانى بالدليل أن هذا الشاب هو ابنى

« زهران » فهذه هى قدمه اليسرى التى فقدت أحد أصابعها فى الحادثة المشهورة.

واستتطرد الحاج « منصور » قائلا:

– لقد قررت أن أقسم كل شىء بين « زهران »، وأخيه توفيق وسوف أذهب غداً بإذن الله إلى شركة التأمين لجعل الوثيقة مناصفة بين الأخوين، فهلل الناس فرحًا، وهنئوا الأب والابن، ثم سأل أحد الحاضرين الحاج « منصور »:

– وماذا ستفعل فى موضوع الأرض والبيت هل ستتركهم للجنى؟

– لا يهمنى ما سيحدث ، ما دمت أعيش وسط أبنائى.

وبذلك ملأ الفرح منزل الحاج « منصور »، واجتمع شمل الأسرة من جديد، وفرحت كل بيوت الواحة.

وفى منزل آخر من منازل البلدة، كانت هناك أسرة صغيرة وفقيرة ليست بمنأى عن تلك الأحداث، الأم تجلس وسط ولديها، وأمامها قطعة من الخبز الجاف، والجبن القديم، وتتنهد قائلة:

– أهكذا ياحاج « منصور » لا تتذكرنا حتى بقطعة لحم من العجل الذى ذبحته؟! هل نسيت أننا ضحية طمعك وجشعك؟ إن الله يمهل ولا يهمل، وسوف تضيع أرضك، ويضيع بيتك ، جزاء وفاقًا على ما اقترفت من إثم فى حق هؤلاء اليتامى، فهاهم أولادى اليتامى لا

يجدون القوت، بعد أن استوليت على نصيب والدهم الطيب شريكك فى استصلاح الأرض . وهو الذى حفر البئر بجهده وعرقه، ثم قمت بطرده، وأنكرت عليه حقه، حتى مات كمدًا، وتركنا فى بؤس وفقر وحاجة، لقد أكلت مال اليتيم، وما أكلت فى بطنك إلا نارًا، لا نريد منك شيئًا، وسيعود إلينا حقنا يومًا ما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

# ٣ - الجن ينفذ تهديده

أحس الحاج « منصور » بعد عودة ابنه الشاب بعودة الأمل إليه من جديد، وازداد تمسكًا بالأرض بعد أن كان قد زهد فيها، وقرر أن يقوم بمحاولة أخيرة لإنقاذ أرضه وبيته، فأرسل ابنه « زهران » إلى بلدة بعيدة بها شخص اشتُهر باتصاله بالجن، وطلب منه أن يدعوه لزيارة الواحة ربما وجد عنده حلاً؛ فأتى « زهران » بالرجل وجلسا أمام الحاج « منصور » :

– مرحبًا بك فى بلدتنا.

– شكر الله لك يا حاج « منصور ».

– ما رأيك فيما قصه عليك ابنى « زهران »؟ هل عندك حل لهذا الأمر؟

– سأحاول الاتصال بملك الجان هذا، وأعرف منه ما يريد، ولكن لماذا لم تستعن بالسيدة العجوز البكماء، وعلمى أنها تتصل به؟

– لقد أبلغتنا من قبل بمطالب الجنى، ورأينا أن نستعين بشخص آخر ربما يكون أقوى منها ، ويستطيع طرده من أرضنا.

– سأحاول ولكن لابد أن يكون الاتصال فى منزل السيدة العجوز ما دام قد اختار بيتها لتوصيل رسائله.

– هل سأحضر معك؟

– أُفَضِّل هذا حتى يكون كل شيء أمامك.

ذهب الحاج «منصور» والرجل إلى منزل السيدة العجوز، فوجدا مساعدها «فرجًا» يجلس أمام باب المنزل، فطلبا منه استئذان صاحبة الدار لعمل جلسة تحضير للجنى، لمعرفة مطالبه، ومحاولة استرضائه وإثنائه عن عناده فوافقت السيدة ولكنها أصرت على عدم حضور الجلسة.

دخل الحاج «منصور» والرجل و«فرج» إلى المنزل، وكانت هذه هى أول مرة يرى فيها الحاج «منصور» بيتًا كهذا، فعلى جدرانه علقت مسبحة جُمعت حباتها من جماجم صغيرة، وفى أحد أركانه عظمة لوح كتف أحد الحيوانات، وحبر، وريش للكتابة، وجلد غزال، ومبخرة، وموقد فحم.

جلس الثلاثة فى غرفة مظلمة وبدأ الرجل عمله، فأخرج من حقيبته حفنة من البخور، وأشعل «فرج» النار فى المبخرة، ثم وضع البخور فوقها فتصاعدت سحب الدخان إلى أعلى لتملأ الغرفة كلها، وبدأ الرجل يتلو بعض كلمات غير مفهومة وهو مغمض العينين، ويحرك فى يده مسبحة شبيهة بالمسبحة المعلقة.

وبعد فترة، حدث صوت يشبه صوت الريح لكنه لم يحرك ستائر

النوافذ، فانكمش الحاج «منصور» فى مكانه، وبدأت أسنانه تصطدم ببعضها، واقشعرَّ جلده، ووقفت كل شعرة فى جسده من شدة الرعب، ثم صاح الرجل: هدوء لقد حضر ملك الجان.

– مرحبًا بك ياملك الجان، جئنا إليك لنعرف ما تطلبه من الحاج «منصور».

أجاب صوت تردد صداه بشدة فى كل أرجاء الغرفة:

– مطالبى ذكرتها من قبل، إما الرحيل، وإما الهلاك.

– أليس من الممكن أن تختار لك مكانًا آخر؟

دوت ضحكة عالية ومرعبة ارتعش لها الجميع.

– بين الجبلين ولا مكان آخر.

قال الرجل متوسلاً:

نحن مستعدون لتقديم الذبائح وحرق البخور.

دوى الصوت مرة أخرى.

– الرحيل غدًا، وإلا سأرسل عليكم أبنائى.

ثم دوت طرقة شديدة هزَّت كيان الحاضرين، وانطلق على أثرها الحاج «منصور» مسرعًا خارج الحجرة.

أدرك الحاج « منصور » أنه لا أمل فى تراجع ملك الجان عن مطالبه، ومشى هائمًا على وجهه فى شوارع الواحة يحدث نفسه، إلى أن قابله ابنه « زهران » فاصطحبه إلى المنزل وقال له مشجعًا :

– لن نستسلم أبدًا يا أبى .

فعادت بعض الثقة إلى الأب وقال لابنه :

– ماذا أنت فاعل ياولدى؟

– سوف أبذل كل ما فى وسعى؛ لكى أحافظ على أرضنا وبيتنا .

كان الحاج « منصور » يخالجه شعور قوى بأن الأرض والمنزل إلى هلاك لا محالة، ليس بسبب إصرار ملك الجان على الاستيلاء عليها، ولكن لسبب آخر وهو حرمان شريكه من كل حقوقه فى الأرض بل وحرمان أولاده الذين أصبحوا يتامى بعد موت والدهم كمدًا وحزنًا وتمثلت أمام عينيه صورة شريكه وهو يحتضر ويقول :

لا تعتقد أنك ستفلت من العقاب يا « منصور » ، فإذا كنت قد ظلمتنى وظلمت أولادى فسيأتى عليك يوم تُظلم ويُظلم أولادك أيضًا، ولا يعفيك هذا من عذاب الله يوم تلقاه، اعلم يا« منصور » أن الظلم إذا دخل شيئًا أهلكه، الظلم ظلمات، الظلم ظلمات يا « منصور » وأسلم الروح .

هز الحاج « منصور » رأسه فى أسى عندما تذكر هذا الموقف، وتمتم

قائلا :

– سوف أعطى ما لا أملك إلى من لا يستحق، ولن يعفينى ذلك من عذاب الله.

وفى صباح اليوم التالى استيقظ « زهران » مبكرًا واصطحب معه عددًا من الرجال، وأخذ فى تجميع أجولة محصول الذرة، ووضعها فوق بعضها فى نظام، وقام بتغطيتها بغطاء محكم، وعين عليها حراسة لحين بيعها ، فهى حصاد عام كامل من التعب والعرق، ثم ذهب ليستريح فى ظل إحدى الأشجار ، بينما والده فى شرفة المنزل يراقبه من بعيد، وفجأة اشتعلت النار فى الأجولة كأنما نزلت عليها صاعقة من السماء، وتحولت إلى كتلة كبيرة من اللهب، وأخذت حبات الذرة تتطاير فى كل مكان محدثة فرقعة، فبهت الجميع ولم يستطيعوا الاقتراب من الحريق خوفًا من عقاب الجان الذى نفَّذ تهديده، فالتهمت النار كل المحصول ولم تبق على شىء منه.

بلغ « شريفًا » خبر احتراق محصول الحاج « منصور » فعقد العزم على الذهاب إلى منزله ليواسيه، ويلقى نظرة على ذلك الحريق الشيطانى.

وصل « شريف » إلى منزل الحاج « منصور »، وهو يقع فى منطقة خالية من السكان وسط الأرض المستصلحة حديثًا، والواقعة فى سهل خصب بين الجبلين، وكان المنزل خاليًا، فلم يذهب أحد من سكان

البلدة ليواسى الحاج «منصورًا»، فقد أصابهم الخوف حتى من مجرد الوجود فى تلك المنطقة المحرمة حتى لا تصيبهم اللعنة أيضًا.

وجد «شريف» الحاج «منصورًا» يرقد على سريره بعد أن داهمته نوبة قلبية مفاجئة لرؤيته ضياع ماله أمام عينيه، وأكثر من ذلك خوفه من تهديدات ملك الجان الذى نفذ كل ما هدد به من قبل، فواساه قائلاً:

– كل شىء يمكن تعويضه يا حاج «منصور»، وعليك أن تتماسك.

– هل رأيت محنة كهذه يا باشمهندس؟!

– اصبر يا حاج فإن «فرج» الله آتٍ لا ريب.

نظر «شريف» إلى «زهران» وقال له:

– هل يمكننى مشاهدة مكان الحريق؟

أجاب الحاج «منصور»:

– تفضل يا باشمهندس، اذهب مع ضيفنا يا «زهران».

وصل «شريف» إلى مكان الحريق بعد أن تركه «زهران»، وما إن اقترب منه حتى اشتم رائحة غريبة، فأخذ يدور حول بقعة الحريق، ثم انحنى على الأرض وأمسك بعض الرماد ووضعه فى قصاصة ورق

واحتفظ بها، وعندما هم بالخروج من المنزل جاء أحد الرجال مسرعًا وهو يقول:

– لقد ماتت بهائمك يا حاج «منصور» ، كانت ترعى عند الذرة المحترقة فأصابتها اللعنة وماتت.

وما إن أكمل الرجل كلمته حتى أصابت الحاج «منصور» شهقة واحدة أسلم بعدها الروح، وسط ذهول الجميع وصراخهم.

شيعت جنازة الحاج «منصور» وجلس «زهران» يتلقى العزاء ، وبعد عدة أيام سافر «زهران» لتسلم قيمة التأمين على حياة أبيه، وعُين وصيًّا على تركة أخيه الأصغر ، ثم هجر الأرض والمنزل، وشرع هو وأخوه فى بناء منزل جديد بعيدًا عن الأرض المحرمة التى هجرها كل الناس، والتى لم يعد يسمع فيها إلا أصوات الطرقات العالية، والصراخ والمواء، ولم يعد يجرؤ أى من سكان القرية على مجرد الاقتراب من تلك المنطقة.

* * *

# ٤ - حل اللغز

جلس « شريف » فى منزله، وأخذ يتفحص كمية الرماد الصغيرة التى أحضرها من مكان الحريق، حتى تأكد من صدق ظنونه، فأنفه لم تخدعه عندما اشتم تلك الرائحة الغريبة حول الكومة المحترقة، فهب واقفًا وهو يقول :

– إذًا فهذا الأمر يلقى بعض الضوء على الأحداث .

فقد كانت لدى « شريف » بعض الدلائل والظنون،بالإضافة إلى إحساسه الخاص بأن فى الأمر خدعة ما ، قال فى نفسه :

– لا بد من حل هذا اللغز العجيب .

وكان عليه أن يعمل بمفرده، ولا ينتظر مساعدة من أحد ؛ فجميع أهل الواحة لديهم اقتناع تام بوجود ملك الجان الذى يريد بسط نفوذه على المنطقة الواقعة بين الجبلين ،وأنه سوف ينزل عقابه بكل من يحاول الوقوف فى طريقه، من أجل ذلك فالجميع خائفون يترقبون ما تسفر عنه الأحداث، وعلى ذلك فلن يساعده أحد فى تلك المغامرة غير محسوبة العواقب .

فكر « شريف » من أين يبدأ حل اللغز، هل من بيت السيدة البكماء؟ أم من موقع القيلا المختفية؟ أم من منزل الحاج « منصور »؟

وبعد تفكير دام طويلاً، قرر أن يبدأ من حيث بدأت الأحداث، أى من منزل السيدة البكماء، فربما تمكن من العثور على شيء يساعده فى كشف النقاب عن الحقيقة.

وكان عليه أن يرسم خطة محكمة لذلك ، فالمنزل يشبه المغارة ولا تفارقه السيدة ومساعدها أبدًا، ولابد من التفكير بدقة قبل الإقدام على أية خطوة قد تكون عواقبها وخيمة.

كان « فرج » مساعد السيدة العجوز يجلس أمام دارها كالعادة، فهو لا يفارق المكان إلا نادرًا جدًّا ، وفى تلك الليلة كان واضعًا أمامه لفافة من الورق بها طعام العشاء، وقبل أن يشرع فى تناوله قام عامل المولد الكهربائى الذى يمد القرية كلها بالكهرباء بإيقافه فى منتصف الليل كعادته.

فعم الظلام أرجاء البلدة التى راحت تسبح فى ليل بهيم، فطوى « فرج » اللفافة فى عصبية ثم قال:

– تبًّا لهذا العامل ألا ينتظر حتى أكمل عشائى؟ ثم اعتدل واقفًا لإشعال مصباح الكيروسين، ولم يكد يشعل عود الثقاب حتى تسمرت قدماه فقد وجد أمامه شبحًا طويلا أسود اللون؛ فسقط مغشيًّا عليه، وهو يتمتم : ملك الجان ، ملك الجان.

قام الشبح بنزع الغطاء عن رأسه فإذا هو « شريف » الذى قام بذلك الدور المرعب على « فرج » ، ولم يكد يمشى عدة خطوات حتى أحس

بتحطم شيء تحت قدمه ، أعقبه حدوث ضوضاء شديدة وأصوات مختلطة ، وطرقات عالية، وصوت انهيار مكتوم، وكلها صادرة من داخل منزل السيدة العجوز .

خشى « شريف » أن تكون السيدة فى محنة وتحتاج إلى المساعدة أو تعرضت لمكروه، فاندفع بسرعة إلى داخل البيت لتقديم المساعدة وبحث فى كل مكان فلم يجد شيئًا، ولم يعثر على أحد وظلت تلك الأصوات التى لم يستطع تحديد مصدرها بالضبط تتردد فى أرجاء المنزل القديم المظلم باعثة الرعب فى قلب أشجع الرجال .

وعندما يئس « شريف » من العثور على السيدة هم بالخروج، ولكنه وجد خلف الباب ثوبًا أسود يشبه ذلك الثوب الذى ترتديه السيدة العجوز، وعندما حرك الباب سقط شيء كان معلقًا فوق الثوب أثار الرعب فى قلبه، وعندما دقق فيه النظر وجده شعرًا مستعارًا له ضفائر بيضاء وله ملمس خشن، فقال « شريف » فى نفسه :

– أيمكن أن تكون هذه ملابس تنكر ؟! ثم أين السيدة العجوز التى لم تغادر منزلها قط فى وضح النهار؟ فكيف لها أن تغادره فى هذا الوقت من الليل؟

خرج « شريف » من المنزل، وعلى الباب اصطدمت قدمه فى ذلك الشيء الذى حطمه منذ قليل تحت قدمه، وكان أشبه بالعلبة الصغيرة، وكان قد سقط من « فرج » عندما أغمى عليه .

التقط « شريف » تلك العلبه الصغيرة وعندما نظر إليها زادت دهشته.. وهنا تقلب « فرج » فوضع « شريف » العلبة بجانبه وانصرف وهو يربي: لص المشمش يحمل جهازاً للتحكم عن بعد! ما أعجب ما جرى هذه الأيام.

عاد « شريف » إلى منزله وجلس يفكر بعمق، وأمامه مفكرة صغيرة يدون فيها كل ما توصل إليه لحل ذلك اللغز العجيب، وأخذ يفند جميع الأدلة التى بدأت تتداعى أمامه الواحدة تلو الأخرى.

– أين المرأة العجوز، هل من الممكن أن تكون سيدة أخرى قد حلت محلها، وقامت بكل ذلك بمساعدة « فرج »؟

لو حدث هذا فإن « فرجًا » لم يتب كما أشيع، وقد يكون متواطئًا مع آخرين! ويبقى السؤال لماذا يفعلون كل هذه الألاعيب؟ طبعًا ليس ذلك للتسلية .

ولكن هل لكل ما سبق علاقة بعودة الابن الضال الذى ظهر فى ذلك التوقيت بالذات؟ ولو كان ذلك صحيحًا ، فلماذا يبذل الابن كل هذا الجهد للاستيلاء على أموال هى من حقه؟

وإذا كان شكى صحيحًا فإلى أى شىء يهدف؟ أو ربما كانت عودته تلك مجرد مصادفة.

إذًا هناك احتمالان، إما أن يكون شريكًا فى المؤامرة ، وفى هذه

الحالة يكون له هدف لابد من كشف النقاب عنه، أو أن تكون عودته أثناء وقوع تلك الأحداث مجرد مصادفة.

لقد ازداد الأمر تعقيداً.

صمم « شريف » على المضى فى طريق البحث عن الحقيقة وأن ينفذ الجزء الثانى من خطة البحث، ربما وجد إجابة عن كل تساؤلاته، وكان الجزء الثانى يتمثل فى عمل زيارة لموقع القيلا المختفية ، ففكر فى طريقة يستطيع بها أن يشاهد موقع القيلا المختفية عن قرب ، ودون أن يلفت انتباه أحد، ولا بد أن يكون ذلك فى وضح النهار.

وبعد تفكير عميق، قرر « شريف » أن يركب دراجة بخارية خاصة بأحد زملائه، ويسير ليلاً فى اتجاه الأرض المحرمة ويبيت ليلته هناك ، وفى الصباح الباكر وبمجرد ظهور ضوء الصباح يعاين المكان، ثم يغادره دون أن يلاحظه أحد، وكأنه قادم من مكان آخر.

وبمجرد أن أصبح « شريف » فى مواجهة موقع القيلا المختفية، أخفى دراجته وسار على قدميه حتى لا يثير صوتها انتباه أى شخص قد يكون هناك فى هذه اللحظات، ثم سار تاركًا الطريق الممهد خلفه، وتوغل فى أرض السيد « أبو النصر » المهجورة حتى وصل إلى موقع القيلا المختفية تقريبًا، وكان الظلام حالكًا فتعثرت قدم « شريف » فى حجر كبير فسقط على الأرض متألمًا ، فقرر أن يمكث مكانه حتى بزوغ ضوء الفجر.

وأثناء الليل سمع أصوات طرقات بعيدة تهز الأرض من تحته وضع « شريف » أذنه على الأرض ودقق السمع، فأدرك أن هناك أصوات حفر فى مكان قريب، ثم تعالت أصوات الصياح والمواء الذى يشبه بكاء الأطفال.

لم يذق « شريف » طعم النوم فى تلك الليلة، وظل مستيقظًا حتى بزوغ الفجر ، وفى الصباح الباكر أخذ يتجول فى المكان فلم يجد إلا أحجارًا متناثرة هنا وهناك، ولا أثر يدل على أن هذا المكان كانت به ڤيلا ضخمة، ووجد آثارًا للحرائق التى اشتعلت بفعل الجان كما ادعى الناس، و لم يبق فى المكان إلا الرماد الذى تتقاذفه الرياح هنا وهناك، وفجأة عثر على قطعة خشبية لم تحترق تمامًا، وعندما نظر فيها صاح قائلاً: الحمد لله لابد أن يترك المجرم شيئًا يدينه، لقد بدأت أحصل على إجابات تفيد كثيرًا فى كشف كل أبعاد الخدعة، ولكن لا بد من زيارة أخرى لمنزل الحاج « منصور » فى الأرض المجاورة، فهناك سوف أجد إجابات لكل الأسئلة الباقية.

* * *

# ٥- لعنة الفراعنة

عاد « شريف » إلى منزله، ودوَّن ملاحظاته كعادته فى مفكرته الصغيرة، ثم توجه بعد ذلك إلى عمله، وفى الطريق قابل جاره « فريد » فسارا معًا، وأخذا يتحدثان فى موضوعات شتى ، وعندما مرا أمام الطريق المؤدى إلى منزل السيدة العجوز وجدا مجموعة من الناس وقد تزاحموا أمام منزلها بأعداد كبيرة، فسأل « شريف » مستفسرًا :

– ما هذا؟

رد « فريد » مبتسمًا :

– هؤلاء زوار السيدة البكماء، جاءوا من جميع البلدان المجاورة لحل مشاكلهم بمساعدة معاونيها من الجن.

قال « شريف » فى تعجب :

– هل تقول السيدة البكماء؟ وهل ظهرت مرة أخرى؟

– وهل كانت قد اختفت من قبل؟!

اقترب الصديقان من المنزل فوجدا « فرجًا » ينظم الناس، وما إن رآهم حتى رمقهم بنظرة حادة أتبعها بابتسامة ساخرة وجَّهها إلى « شريف » فقال « شريف » مستنكرًا :

– لقد تحول « فرج » من لص إلى مدلس كذاب، إنه لم يتب كما

ادَّعى وصدَّقه أهل البلدة الطيبون، وهنا نادى أحد الزوار على« فرج »، وهمس فى أذنه، ثم أعطاه شيئًا فى يده، فصاح « فرج » قائلاً :

– الحاج « عبد التواب » يدخل أولاً، لقد حجز منذ أسبوع. تنهد « شريف » قائلاً :

– يبدو أن « فرجًا » أحسن استغلال الموقف تمامًا.

ثم وقف « شريف » فى الناس محذرًا من الوقوع فى مثل هذه الشراك، قائلاً :

– إن هذا دجل واضح، وإن الغيب لا يعلمه إلا الله، وإن الشافى والهادى والنافع والضار والرازق هو الله.

ولكن لم يلتفت إليه أحد منهم، فقد كانت تسيطر عليهم رغبة شديدة فى الشفاء، وفى معرفة الغيب الذى أخفاه الله عنهم لصالحهم، ولم يُطْلِع عليه أحدًا من خلقه.

ولكن « فرجًا » انبرى له قائلاً :

أحذرك يا باشمهندس، فهذا القول يعرضك لعقاب ملك الجان، أو أن يفعل بك كما فعل بالسيد « أبو النصر » أو الحاج « منصور ».

– سوف أكشف أمركم قريبًا بإذن الله يا « فرج ».

نبهت هذه الكلمات « فرجًا » إلى أن « شريفًا » قد توصل لشىء

ما، وهنا قام « فريد » بجذب « شريف » من ذراعه وهو يقول:

– لا فائدة يا « شريف » هيا بنا.

وفى تلك الليلة وبينما « شريف » ما بين اليقظة والنوم إذا به يسمع صوتًا يأتى من حديقة منزله، فقام مسرعًا، قائلا:

– من ... من ؟؟

فرد عليه صوت من أعلى المنزل:

– الموت.

وفجأة اشتعلت النيران فى بعض المخلفات والأخشاب خلف منزل « شريف »، وأمسكت بملابسه، فارتمى على أرض الحديقة وأخذ يتقلب بسرعة حتى انطفأت النيران ، ونظر إلى أعلى فوجد شبحًا يعدو بسرعة، ويتنقل من سطح إلى آخر، وهو يطلق ضحكات عالية، وبدأت النيران المشتعلة فى المخلفات تزداد اشتعالا، فأخذ « شريف » يلقى عليها برمال الحديقة حتى خبت جذوتها.

فهم « شريف » أن تلك الرسالة ما هى إلا مجرد تهديد من « فرج » وأعوانه بعدم التعرض لتجارتهم الرابحة، أو أعمالهم فى الواحة بصفة عامة، وحتى هذه اللحظة كان « شريف » يعتقد أن الأمر مجرد الاستفادة من أوهام الناس ، ورغبتهم فى معرفة الغيب ، واعتقادهم الخاطئ فى تسخير الجان على أيدى هؤلاء الدجالين ، للحصول على

بعض المال.

انتشر خبر حادثة «شريف» فى القرية كلها، فأشفق الناس عليه من انتقام ملك الجان، وكانت نظرتهم له تقول ابتعد عن طريقهم وعش فى سلام، كما ساعد هذا الحادث فى تأكيد وتعميق اعتقاد الناس فى تسخير الجن، وفى «فرج»، والسيدة العجوز، لكنه فى الوقت نفسه أكد «لشريف» صدق نظريته.

كانت إصابة «شريف» سطحية لكن الطبيب نصحه بالراحة لعدة أيام، فاضطر إلى تأجيل زيارته السرية إلى منزل الحاج «منصور»، وبعد عدة أيام بدأ يتماثل للشفاء، وقرر الذهاب إلى المنزل المهجور ليلا أيضًا، فركب الدراجة البخارية وانطلق إلى هدفه.

اقترب «شريف» من المنزل، وكان المكان خاليًا تمامًا فلا إنسان ولا حيوان، وقد عمه ظلام دامس، فأخذ يتحسس طريقه حتى وصل إلى باب المنزل فوجده موصدًا، وكان للمنزل باب خلفى يؤدى إلى حديقة خلفية، دار «شريف» حول المنزل حتى وصل إلى الباب الخلفى، فدفعه ودلف إلى الداخل بخطوات هادئة، ولم يكد يخطو عدة خطوات حتى سمع صوتًا يقول له:

– مرحبًا.

وسقطت عصا غليظة على مؤخرة رأسه أفقدته الوعى، وبعد عدة ساعات أفاق «شريف» على صوت طرقات عالية، وأخذ يدقق النظر

فيما حوله فلم يتبين شيئًا، فالحجرة التى وضعوه فيها كانت شديدة الظلام، وفجأة جاء صوت أنين من أحد أركان الغرفة ، قال « شريف » فى نفسه :

– ربما يكون أحد المحبوسين معى فى الغرفة فهمس قائلا : هل من أحد هنا؟

فرد عليه نفس الأنين الغامض، حاول « شريف » أن يتحرك تجاهه لكنه لم يستطع فقد كانت يداه موثقتين بقوة خلف ظهره وكذلك التف حبل سميك حول ساقيه، فظل ساكنًا فى مكانه ، وبعد فترة سمع أصوات حركة وجلبة عالية داخل المنزل، وأصوات أشخاص يتحدثون، وأضواء تملأ المكان ثم اقترب صوت أجش من غرفة « شريف » وكان يتحدث إلى شخص آخر قائلا :

– يبدو أن حيلتك لم تعطله كثيرًا لقد حضر الليلة .

علم « شريف » أنهم يتحدثون عنه فأرهف السمع .

– إنه عنيد وخطر كما حذرونا منه تمامًا .

– سوف نلقنه درسًا لن ينساه طيلة حياته، هذا لو ظل حيًّا .

– ماذا ستفعل يا سيدى وجميع الحيل السابقة لم تدخل عليه؟

– إن لمثله أساليب أخرى .

وفتح باب الغرفة، فدخل ضوء أظهر محتوياتها، ووجد « شريف » نفسه أمام مفاجأة لم يكن يتوقعها، فقد وجد السيدة العجوز تقف أمامه، ومعها « زهران » ابن الحاج « منصور » فنظر إليه مندهشًا وقال :

– كنت أظن أن « فرجًا » هو محرك هذه الأحداث!

سمع « شريف » الصوت الأجش نفسه، ولكنه فى هذه المرة لم يعرف من أين يأتى، وقال له :

إن « فرجًا » أجبن من أن يفعل هذا، فهو مجرد لص حقير، يكفى أن نلقى له بالفتات فينصاع إلى كل أوامرنا، ورفعت السيدة العجوز الواقفة أمامه النقاب عن وجهها فإذا بها الرجل ذو الصوت الأجش، وفى هذه اللحظة سمع « شريف » صوت الأنين مرة أخرى فالتفت إلى مصدر الصوت فإذا به يجد مفاجأة أخرى؛ إنها السيدة العجوز البكماء مقيدة وملقاة فى أحد أركان الغرفة!

نظر الرجل إلى « شريف » وقال :

– هل فهمت الآن كل القصة؟

قال « شريف » :

لا . بل تسعون بالمائة فقط .

وهنا دخل رجل إلى الغرفة يتكلم اللغة العربية بصعوبة، ووجه كلامه إلى صاحب الصوت الأجش قائلا :

إن الزعيم يطلبك، لقد توصلنا أخيرًا إلى السرداب المؤدى إلى حجرة الدفن الملكى.

نظر إليهم « شريف » بغيظ، وقال:

– الآن وجدت الإجابة عن كل الأسئلة، يالصوص الآثار.

قال الرجل وهو يستدير ويغادر الغرفة بخطى سريعة:

– ستُدفن معك هذه الإجابات أيضًا.

وأغلق باب الغرفة، فعاد الظلام يطبق على المكان من جديد.

أخذ « شريف » يعمل ذهنه للوصول إلى طريقة للتخلص من هذا المأزق، وتذكر أنه عندما فتح باب الغرفة رأى كثيرًا من علب الطعام الفارغة فى أحد الأركان، فقال فى نفسه: ربما كانوا يلقون بها فى الغرفة بعد استهلاك ما بها بواسطة الرجال الذين يقومون بالحفر، وحتى لا تلفت انتباه أحد لو ألقيت بالخارج لكثرتها، وهذا يدل على أن الرجال الذين يقومون بالحفر يعيشون على الأغذية المحفوظة، ومتواجدون هنا منذ مدة ليست بالقصيرة، وأن عددهم كبير.

زحف « شريف » بصعوبة بالغة حتى بلغت قدمه الممتدة أمامه إحدى هذه العلب المفتوحة حديثًا، وكان غطاؤها مفتوحًا إلى منتصفه فقط ولا يزال حادًّا، فاستدار وأمسك بالعلبة خلف ظهره وجعل الحافة الحادة تلامس الحبل، وراح يعمل فى صبر وبلا ملل حتى أنجزت الحافة

الحادة مهمتها على أكمل وجه وقطعت القيد، وبعد أن نجح « شريف » فى تحرير يديه بدأ فى فك قدميه، وتوجه إلى السيدة العجوز فحل وثاقها أيضًا، ولكنها لم تستطع القيام وكأن جسدها قد تيبس على هذا الوضع، فحاول « شريف » مساعدتها على النهوض حتى وقفت بصعوبة بالغة، وكانت الخطوة التالية هى محاولة الخروج من تلك الغرفة المظلمة التى أوصدت جميع نوافذها بإحكام شديد، وتم تثبيت ألواح خشبية عليها، وتحسس « شريف » محتويات الغرفة التى كانت أشبه بمخزن للمخلفات، فوجد قطعة من الحديد وكانت أصوات الطرقات لا تزال مستمرة فى السرداب أسفل المنزل، فاستغل « شريف » هذه الطرقات لصالحه، وأخذ ينزع مع كل طرقة لوحًا، حتى لا يلاحظ أحد أصوات الألواح الخشبية لاختلاطه مع صوت الطرقات، حتى فتحت النافذة، ونظر فى الحديقة فلم ير إلا حارسًا واحدًا عند بابها الخلفى، هو الشخص الذى أفقده الوعى عند دخوله.

تمتم « شريف » قائلا:

– سأرد لك الصاع صاعين.

وتسلل خلفه، وقال له:

– لا مرحبًا بك، ونزل بالعصا على مؤخرة رأسه بكل ما أوتى من قوة فسقط من فوره، فقيده بقوة ونحاه جانبًا، ثم قام بإنزال السيدة العجوز من النافذة، وانطلق بها بعيدًا عن المنزل حتى أصبحت فى

مأمن، وتركها تستريح ، وعاد مرة أخرى إلى المنزل لإكمال مهمته، وفى هذه اللحظة كان جميع الرجال فى بدروم المنزل، حيث تمت عملية الكشف الأثرى، وكانت فرحة العثور على الكنز الفرعونى الذى سيحولهم إلى أصحاب ملايين قد شغلتهم عما يدور فوقهم.

أخذ « شريف » يبحث فى جميع غرف المنزل، ربما وجد شيئًا، حتى وجد غرفة بها جميع المعدات المستخدمة فى تنفيذ خدعتهم الكبرى ، فوجد صندوقًا به بالونات كبيرة، وأسطوانات تحوى غاز الهيليوم، وأخرى تحوى غاز الأيدروجين ، وفسفورًا محفوظًا أسفل الماء فى أوانٍ زجاجية حتى لايشتعل، وأسطوانات بها أقراص الفوسفور توكسين السامة، والتى تتسامى وتتحول من الحالة الصلبة إلى الغازية مباشرة بمجرد خروجها من أسطوانتها المحكمة، وقد تسبب تسممًا لو وجدت فى حيز مغلق، وقد تشتعل لأن أحد مكوناتها الفوسفورأما الرماد المتخلف عنها فهو شديد السمية، وفى ركن آخر أقفاص تحتوى على فئران ، وبوم ، وعلى الأرفف أجهزة صوتية متقدمة تبث تلك الأصوات المرعبة ليلاً. وأجهزة للتحكم عن بعد ، مثل ذلك الجهاز الذى كان مع « فرج ».

قرر« شريف » أن يستخدم جميع تلك الأسلحة ضدهم،فأحضر مجموعة من الأجولة القديمة، والأخشاب، والمخلفات، ووضعها عند بداية فتحة السرداب، وكان جميع أفراد العصابة بالداخل ، يتفحصون

فى الكنز الأثرى الذى لا يقدر بثمن، فأخرج مجموعة من أقراص الفوسفوتوكسين وألقاها داخل النفق، وبدأت تتسامى وتتحول إلى غاز خانق سام ، فأصاب جميع من بالداخل سعال شديد، وأخذوا يحاولون الخروج من النفق، وهم يضعون أيديهم فوق أنوفهم.

قال « زهران » :

ماهذا ؟ أهى لعنة الفراعنة؟!

فرد عليه « شريف » وهو يلقى بالفسفور على الأجولة الفارغة، والأخشاب فاشتعلت:

– بل أنا قدرك وأطلق ضحكة عالية فى أجهزة تكبير الصوت، وازدادت النيران اشتعالا وحاصرت كل من بداخل النفق، فبدأ الرجال ينطلقون إلى الخارج، وهم يضعون أيديهم على أعينهم لحمايتها من النيران، بينما سعالهم وصراخهم يضيف إلى مكبرات الصوت صوتًا جديدًا، وأخذ « شريف » يتلقى الهاربين بعصا غليظة أسقطتهم كالجراد، وهم فى حالة إعياء شديد، ثم قام بشد وثاقهم جيدًا ، وقال:

– الآن الخطوة التالية:

إن الأيدروجين يشتعل ويحدث فرقعة عالية ، هذه نظرية علمية أعرفها ، فلنجربها، وأخرج أسطوانة الهيدروجين إلى فناء الحديقة، وألقى عليها بجذوة مشتعلة من النيران، وابتعد بسرعة ، وما هى إلا

لحظات حتى انفجرت الأسطوانة محدثة دويًّا هائلا سمعه كل أهل القرية، وتصاعدت فى السماء ألسنة اللهب فرآها الجميع.

توجهت سيارات الشرطة إلى مكان الانفجار المروع، فوجدوا «شريفًا» يقف فى وسط الحديقة، يستمع إلى شريط من المؤثرات الصوتية ويضحك.

* * *

# ٦- عودة الحق إلى أهله

توجه « شريف » إلى منزل أرملة شريك الحاج « منصور »، حيث تعيش مع أولادها اليتامى، واصطحب معه جاره « فريداً » وطرق الباب ثم تراجع عدة خطوات إلى الخلف، وتنحى جانبًا حتى لا يكون فى مواجهة باب المنزل،وبعد برهة سمع نداء من الداخل.

– من الطارق؟

– المهندس « شريف فهمى ».

– مرحبًا تفضل يا باشمهندس.

– شكر الله لك، لقد جئت ببعض الهدايا للأولاد، ولأطمئنك أن الورقة التى تثبت حق زوجك فى نصيبه من أرض الحاج « منصور » قد قدمتها للنيابة، وشهد الأهالى بصدق ما جاء فيها، وسوف يعود إليكم الحق قريبًا بإذن الله.

– بارك الله فيك يا باشمهندس، لقد جعلك الله سببًا فى مساعدة هؤلاء اليتامى.

– لا داعى للشكر، فالحق وإن طال انتظاره لا بد أن يرده الله إلى أهله، السلام عليكم ورحمة الله.

– فى أمان الله يا باشمهندس.

كان « شريف » أثناء حديثه مع السيدة ينظر إلى الأرض فى أدب، وقد أولاها ظهره، وابتعد عدة خطوات عن الباب، ثم انصرف عائدًا إلى منزله، فوجد مجموعة من الشباب ، فى انتظاره، فرحب بهم ودعاهم إلى داخل المنزل، ثم جلس يجيب عن أسئلتهم المتعلقة بالقبض على لصوص الآثار، وإخراج القرية من تلك الأيام العصيبة التى عاشوها فى رعب وكرب.

بدأ « فريد » حديثه قائلا :

– نريد أن تحكى لنا كل ما حدث يا « شريف »، وتضع تفسيرًا لكل حيلة، وكيف اكتشفتها؟

ثم استطرد قائلا :

– نحن نعلم جميعًا أن الجن موجود فعلا ، وهو مخلوق من مخلوقات الله، ولكن هل يمكن الاتصال به؟

أجاب « شريف » :

نعم يا صديقى فعالم الجان موجود، والاتصال به جائز، ولكن على أية حال ليس هذا موضوعنا، اللهم إننا تخلصنا من مجموعة اللصوص الذين ارتدوا رداء الشعوذة وتسلحوا ببعض المنجزات العلمية والإمكانات المادية، وسخروها فى سبيل الوصول إلى هدف معين، وهو إخلاء المكان الذى يريدون الاستيلاء عليه، فقاموا بإغراق الناس فى هذه الأحداث لشغلهم عما ينوون فعله، ويحققون عن طريق إقناع الناس بقصة الجان وملكهم ما قد يعجزون عن تحقيقه بطرق أخرى، ولا

ننسى أنهم استثمروا جيداً عوامل النقص في بعض النفوس مثل الطمع والسلبية فى تصرفات الناس تجاه الأحداث.

ثم أسند « شريف » ظهره إلى الكرسى، وأخذ نفسًا عميقًا وقال:

– إن لكل شيء تفسيرًا منطقيًّا يا أصدقائى.

قال أحد الشباب:

– إذن بماذا تفسر اختفاء القطط من الواحة إذا لم يكن ملك الجان قد قام بحبسها فعلاً؟

– لقد اتفقنا يا صديقى أنه لا يوجد ملك للجان فى قضيتنا هذه إنما هو تمسُّح بأشياء استقر الخوف منها فى نفوس الناس، ولإضفاء صبغة من الرهبة عليها ، وبالنسبة إلى موضوع القطط، هل تذكرون الحملة التى قمنا بها منذ فترة للقضاء على الفئران؟

قاطعه « فريد »:

نريد معرفة سر اختفاء القطط وليس سبب اختفاء الفئران!

– مهلا يا «فريد» فالاثنان يربطهما خيط واحد، فالسم الذى استخدمناه فى قتل الفئران سم بطىء يسبب سيولة فى دم الضحية، ولا يقتلها فورًا، ولكن بعد فترة تسمح لها بمغادرة المكان الذى تناولت فيه السم حتى لا تكتشف باقى الفئران أن ذلك الطعام يسبب الموت فتقبل هى الأخرى على تناول السم، وكانت القطط تنتهز فرصة ضعف الفئران، وعدم قدرتها على المناورة بعد سريان السم فى دمها، فتصطادها فتصاب هى الأخرى بسيولة الدم وتموت.

كان الجالسون ينظرون بإعجاب إلى «شريف» عندما شرح تلك النقطة التى لم يجدوا لها تفسيرًا من قبل، وسأل آخر:

– وماذا عن الجن الذى رأيناه جميعًا، وهو يطالب بإخلاء المنطقة ما بين الجبلين؟

– اسمع يا صديقى، لقد ساهمتم أنتم فى ظهور ذلك الجنى

الذى لم يكن له وجود.

– وكيف ذلك، لقد رأيناه بأعيننا؟!

إجاب « شريف » وقد بدت على وجهه علامات الجدية الشديدة:

– إن العوامل التى تساعد على تصديق معظم الروايات الخاصة بالجن وغيره أولاً عوامل تتعلق بالتلقى، أى أنه عامل نفسى، وهو يتمثل فى الاستعداد النفسى لتصديق مثل هذه الروايات، حتى إن الشخص الذى يولد عنده هذا الاستعداد قد يتخيل أشياء غير موجودة، لاتولد إلا فى ذهنه هو فقط ، وقد ساهم الناس فى ذلك باختلاق قصص من نسج خيالهم، مثل: مطاردة الجن لبعضهم، وغيرها ،ونشروها بين الأهالى فأصبحوا دون أن يشعروا شركاء للدجالين فى خلق ذلك الاستعداد النفسى.

وهنا قال « فريد »:

– نعم إن كل ما تقوله حق يا « شريف »، وسوف أقص لكم قصة حدثت لى شخصيًّا تؤكد هذا، فقد كنت عائدًا ليلاً إلى منزلى ، وقد تعلقت بذهنى تلك القصص التى تروى عن الأشباح، وعندما مررت أمام مقابر القرية كنت قد وصلت إلى قمة الاستعداد النفسى لتلقى أى خرافة أو قل صنع أى وهم من داخلى ، وفجأة رأيت شبحًا يقف على قمة الجبل، ويمسك بيده طرف ثوب طويل من القماش يصل حتى قمة الجبل المقابل الذى وقف عليه شبح آخر، الأول يفك الثوب والثانى يلفه، فانتابنى فزع شديد، وأخذت أعدو حتى وصلت إلى منزلى، وهناك اكتشفت أن خيطًا قد التصق بزجاج نظارتى.

فضحك الحاضرون بشدة، وازداد تأكدهم من صحة نظرية « شريف ».

ثم أضاف « شريف »:

– أما العامل الثانى الذى استخدمه الدجالون ببراعة، والذى

يعتمد على الحيل والألاعيب العلمية التى خفيت عن أهل الواحة، فقد ظهر بعد أن هيأكم الدجالون نفسيًّا ولمدة عدة أسابيع لاستقبال الحدث، فاستخدموا المؤثرات الصوتية العالية جدًّا، وقطع التيار الكهربائى عن القرية كلها وقت ظهور ملك الجان، ثم إطلاق بعض الفئران لتنقض عليها البومتان، ثم إطلاق بالون مملوء بالهيليوم محاط بثوب مغطى بالفسفور، فيحترق بمجرد صعوده فى الهواء، ثم هدم جدار أحد المنازل، وكل ذلك حدث فى وقت واحد لتشتيت الأذهان، وصرف العقول عن مراقبة كل خدعة على حدة بإمعان.

قال «فريد»: إذن كل شىء كان وهمًا!

– لا، بل قل هى حيل تم تدبيرها بإحكام شديد.

سأل شاب آخر:

– وكيف استطعت أن تعرف أن السيدة العجوز لم تكن هى التى تدبر الأحداث، وتقابل الزوَّار، بل كان ذلك الرجل المتنكر الذى حل محلها؟

– عندما دخلتُ إلى منزلها ، شككت فى الأمر عندما وجدت ملابس التنكر والشعر المستعار ولم أجد السيدة العجوز نفسها، ولا أخفى عليكم فأنا لم أكن أتوقع أبدًا أن يتنكر فى زيها رجل ، بل ظننت أن تكون سيدة قد حلت محلها، وهناك أمر آخر زاد شكى ، وهو ملازمة «فرج» لباب السيدة العجوز وعدم مغادرته أبدًا بدعوى حراسته، وهو فى حقيقة الأمر لمنع أى شخص من الدخول، وليكون وسيطًا بين الدجالين والناس حتى لا يفكر أحد من الذين يعرفون السيدة العجوز فى محاولة محادثتها، وبالتالى تكشف الخدعة، وكذلك قيام «فرج» بدور الرجل الذى ينظم الزيارات، والحصول على مبالغ نقدية لنفسه مقابل ذلك ، وهذا ما أدخل الشك فى نفسى، فليس هذا سمت من أعلن التوبة كما زعم .

– وبما تفسر احتراق محصول الحاج «منصور» ، ونفوق بهائمه؟

– كان ذلك بفعل أقراص الفوسفوتوكسين، وهذه الأقراص المكون

الرئيسى لها هو الفوسفور، وهى تتحول إلى الحالة الغازية بمجرد تعرضها للهواء، وتستعمل فى تطهير الغلال والمخازن من الآفات والحشرات بعد تغطية تلك المحاصيل بأغطية محكمة، والأنواع الرديئة منها تشتعل فجأة وبسرعة بعد أن تتحول إلى غاز ، ولها رائحة مميزة، وهى الرائحة التى شممتها عندما ذهبت لمعاينة المحصول المحترق، كما رأيت الرماد الذى خلفته بعد تحولها إلى غاز، أما نفوق الحيوانات فكان للسبب نفسه، فالرماد المتخلف سام جدًّا، وقد اختلط بحبوب الذرة التى أكلتها الحيوانات فحدث تسممها، وأعتقد أن « زهران » كان له يد فى كل هذا للتأثير فى معنويات الحاج « منصور » .

سأل « فريد » :

وما علاقة « زهران » بلصوص الآثار؟

– « زهران » ليس الابن الضال الذى فقده الحاج « منصور » .

ولكن اللصوص استغلوا تلك القصة المعروفة واستأجروا ذلك

الشخص الذى ادعى أنه « زهران » للقيام بهذا الدور، وليساعدهم فى إحكام الحصار على الحاج « منصور » وإجباره على مغادرة الأرض والبيت لينقبوا تحته عن كنزهم، بينما يفوز ذلك الشخص بمبلغ التأمين، والوصاية على الصغير، ثم يأخذ كل الأموال ويهرب.

– ألم يكن من الممكن أن يفكر ذلك الشخص فى قتل الطفل « توفيق » والاستئثار بالميراث كله؟

– هذا التفكير لم يكن واردًا لسببين، أولهما:

أن ذلك الشخص لو قتل « توفيقًا » فسوف يتهم بقتله لأنه المستفيد الوحيد من ذلك ، والثانى: أنهم لا يريدون توريط أنفسهم فى أية جريمة قتل، فهذا ليس أسلوبهم.

– أذًا بماذا تفسر محاولة قتلك إذا لم يكن القتل من أسلوبهم؟

– تلك المحاولة كانت لتعطيلى وإرهابى حتى لا أكتشف أمرهم

قبل حصولهم على الكنز وهروبهم به.

قام أحد الشباب وقال فى حماس:

– بقى أهم شىء فى ذلك اللغز.

سأله « شريف » :

– وما هو؟

قال الشاب فى ثقة:

– اختفاء قصر السيد « أبو النصر » .

ضحك « شريف » حتى مال إلى الخلف وقال:

– بل هو أسهل ما فى الموضوع .

بدت علامات الدهشة على الجميع ، وصاحوا فى صوت واحد:

– وكيف هذا؟

أجاب « شريف » فى ثقة :

– لم يكن هناك قصر منذ البداية .

– لقد رأيناه جميعًا بأعيننا، أم ستقول أن ذلك كان من نسج خيالنا أيضًا .

سألهم « شريف » :

– هل دخله أحد منكم ؟

أجابوا فى صوت واحد :

– لا .

قال « شريف » :

هنا يكمن السر يا أصدقائى، فالقصر أو الڤيلا الضخمة لم تكن إلا ديكورًا من ذلك النوع الذى يستخدم فى الأفلام، وقد أعدوه بدقة متناهية حتى يظهر للناس من بعيد على أنه ڤيلا ضخمة، أما أخشاب

الديكور التى استخدمت فى بناء القيلا فكانت تأتى محملة على سيارات نقل محاطة من الخارج بالأحجار ومن الداخل بأخشاب الديكور، والعمال ليسوا من أهل الواحة طبعًا وإلا اكتشفوا الأمر، وهذا ما زاد من شكوكى فمن العادة أن يستعين أى شخص يبنى منزلا فى الواحة بعمالها فى البناء، أو حتى فى حفر الأساس، لأن استقدام عمال من بلاد أخرى يزيد التكلفة كثيرًا، ولا يأتى بعمال من مكان آخر إلا فى المهن الفنية جدًّا، كما أن بناء بهذه المواصفات من السهل جدًّا هدمه ليلا وفى الصباح تحرق أخشابه فتختفى كل معالمه، ويعتقد الناس أن الجن هو الذى أخفى وأحرق.

هز «فريد» رأسه محاولا أن يفيق من هول تلك المفاجآت، وقال:

– إذًا السيد «أبو النصر» صاحب القيلا كان معهم ؟!

– نعم ، كان معهم بطبيعة الحال، وكان عنصرًا أساسيًّا فى محاولات إقناع الحاج «منصور» بالتنازل عن أرضه، أو تركها وإلا

تعرض لغضب ملك الجان مثله.

قال أحد الجالسين:

– لماذا لم يحاولوا إقناع السيد «منصور» ببيع المنزل لهم ؟

كان ذلك سيؤدى إلى زيادة تشبث الحاج «منصور» بها ، خاصة أنه ضحى بشريكه فى سبيل الاحتفاظ بها لنفسه وأولاده، فكيف كان سيبيعها بهذه السهولة، وقد تقدم فى العمر، ولا ينقصه المال، ولا تنسوا أن قصة الجن جعلت المنطقة مهجورة ولا يقربها أحد من أهل الواحة، وكان هذا هو هدفهم ليعملوا بعيداً عن العيون.

بدا الإرهاق على وجه «شريف» فأراد أن ينهى الموضوع بالعبرة التى يجب أن يخرج بها الشباب من تلك الأحداث فقال:

– أهم ما فى الموضوع ياشباب، هو رجوع الحق إلى أهله، فشريك الحاج «منصور» ترك لزوجته ورقة تثبت حقه فى الأرض والبيت، وقد

هدده الحاج « منصور » بالانتقام لو حاول إثارة أى مشكلة معه، وبعد موت الشريك لم تجد الزوجة من يقف بجانبها خوفًا من « منصور » وبطشه، ولكن الله عز وجل لا يرضى بالظلم ، فكانت نهاية الظالم هى النهاية نفسها التى مات بها شريكه حزنًا على ضياع الأرض والمال، وقد شجع موت « منصور » زوجة شريكه على إظهار ما يثبت حقها ، وحق أولادها الأيتام، كذلك تشجع الشهود وشهدوا بجانبها بعد ما رأوا نهاية الظالم وظهور الحق، وأنا شخصيًّا أعتقد أن كل ما حدث كان سببًا فى عودة الحق، وأن وثيقة التأمين والمنزل والأرض التى اغتصبها « منصور » من شريكه ليؤمن مستقبل أولاده بها ويسعدهم كانت ضمن الأسباب المباشرة فى هلاكه وتعاسة ابنه، خاصة لو علمنا أن المنزل الذى يقع تحته الكنز ، والذى دارت كل هذه الأحداث بسببه يقع فى نصيب الشريك .

* * *

# صـــدر من السلسلة

- القبضة الغامضة

- سر الكنز المدفون

- القـــيـــد المزدوج

- مهمة فى الأعماق

- المؤامـــرة الكبـــرى

- الأرض المحـــرمـــة